خوف السلف من النفاق

أيهـا المسـلم المغرور بعـمله والمعـجب بصلاته وقـيامـه والمفتون بستر الله عليه، هل أنت ذاك النقي الذي لا يخاف النفاق على نفسه، وفي الحقـيقة أنه ليس بنقي، فالنقي من خـاف على نفـسـه النفـاق وحـذر مـنه، وهذه بين يديك نصوص منقولة عن سلف هذه الأمة الأتقيـاء الأنقياء العباد الزهاد الذين كان منهم من قد بشر بالجنة ومع ذلك ما أمن على نفسـه النفـاق،وهذه النصـوص ينقـلها لنا ابن رجـب ـ رحمه الله ـ، قال: «ومن هنا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسـهم وكان عمر يسـأل حـذيفة عن نفـسـه وسُئِلَ أبو رجاء العطاردي: هل أدركت من أدركت من أصـحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق»، فقال: «نعم، إني أدركت منهم بحمد الله صدرًا حسنًا، نعم شديدًا نعم، شديدًا».

■ وقال البخاري في (صحـيحه): وقال ابن أبي مليكه: «أدركت ثلاثين من أصحـاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق

على نفسه»، ويذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق. اهـ.

■ وروي عن الحسن أنه حلف: ما مضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق أمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق، وسمع رجل أبا الدرداء يتعوذ من النفاق في صلاته فلما سلم قال: ما شأنك وشأن النفاق؟ فقال: اللهم اغفر لي ثلاثًا، لا تأمن البلاد، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه.

والآثار عن السلف في هذا كثيرة جدًا؛ قال سفيان الثوري: خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث، فذكر منها قال: نحن نقول: نفاق وهم يقولون: لا نفاق، وقال الأوزاعي: قد خاف عمر النفاق على نفسه، قيل له أنهم يقولون أن عمر لم يخف أن يكون يومئذ منافقًا حتى سأل حذيفة ولكن خاف أن يبتلى بذلك قبل أن يموت،

قال: هذا قول أهل البـدع، يشير إلى أن عمـر كان يخاف النفاق على نفسه في الحال.

والظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف على نفسه في الحال من النفـاق الأصغر، والـنفاق الأصغـر وسيلة إلى الـنفاق الأكبر، كما أن المعـاصي بريد الكفر وكما يخشى على من أصـر على المعـصـيـة أن يسلب الإيمان عند الموت كـذلك يخشى على من أصر على خـصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منـافقًا خالصًا. وسئل الإمام أحمد: مـا تقول فيمن لا يخاف على نـفسه النفـاق؟ قال: ومن يأمن على نفـسه النفاق، وكان الحسن يسـمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقًا. اهـ. كلامه ـ رحمه الله ـ.

ثم تأمل أخي المسلم حـديث أخرجـه الإمام مـسلم في (الصحيحـة) عن حنظلة الأسدي أنه مر به أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي، فـقال: «مـا لك؟»، قال: نافـق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسـول الله ﷺ يذكرنا بالجنـة والنار كأنهما رأي

العين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والصبية فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: «فوالله إنَّا لكذلك»، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما لك يا حنظلة؟»، قال: نافق حنظلة يا رسول الله، وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعة».

فانظر كيف كان خوف هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم من مخالفة الظاهر للباطن الذي يعد من أبرز سيما النفاق، فكيف نحن الذين توفرت فينا بعض صفات النفاق ومع ذلك لم نخف على أنفسنا من مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

تعريف النفاق

النفاق في اللغة: مصدر (نَفَقَ)، وهو مشتق من نافقاء اليربوع موضع يرقه من جحره، فإذا أوذي من قبل القاصعاء وضرب النافقاء برأسه فخرج فهو يظهر أحدهما ويخفي الآخر.

«لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ٣٥٨)، «تاج العروس» (٧/ ٧٩).

فهو مخالفة الباطن للظاهر أو إظهار الخير وإبطان خلافه.

وفي الاصطلاح على قسمين: نفاق اعتقادي: إن كانت مخالفة الباطن للظاهر **في اعتقاد الإيمان. ونفاق عمل:** إن كانت مخالفة الباطن للظاهر في غير ذلك.

■ وعرفه ابن رجب فقال: وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين: **أحدهما ـ النفاق الأكبر:** وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما ينقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني - النفاق الأصغر: وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك. اهـ.

والنفاق الاعتقادي: هو الذي يكفر صاحبه ويخرج من دائرة الإيمان، وهو الذي كان عليه المنافقون في عهده ﷺ، وكانت تنزل عليهم الآيات في ذلك، وهم الذي ابتدعوا النفاق في هذه الأمة وإلا قبل ذلك لم يكن موجوداً.

قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه، وإنما أنزلت صفات المنافقين في السور المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه، من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهًا وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء

الأوس. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلّ من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضًا لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وَادَعَ اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب المدينة.

فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي سلول وكان رأسًا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملّكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا وانشغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله.

فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه. فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثَمَّ وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما

المهاجرين فلم يكن فيهم أحد يهاجر مكرهًا بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة. اهـ. (من تفسير ابن كثير ـ ١/ ٥٠).

وأما نفاق العمل، فهو كبيرة من الكبائر، وصاحبه هو الذي يعمل أعمالاً عدها رسول الله ﷺ من النفاق، والتي لا يبطن فيها العامل الكفر ويظهر الإيمان، بل هي صفات وصف بها المنافق فعملها المسلم لضعف إيمانه، وأما ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»، فقد ذكر العلماء فيه أقوالاً كثيرة كلها تدل على أن فاعل هذه الخصال بدون إبطان الكفر وإظهار الإسلام ليس بمنافق نفاق اعتقادي، ومن ذلك ما قال النووي في شرحه لمسلم (٢/ ٤٦).

ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: أن معناه هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم؛ فإن النفاق وهو إظهار ما يبطن خلافه. وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقًا في حق من حدثه ووعده واستأمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار، وقوله: «كان منافقًا خالصًا» معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبه فأما من يندر ذلك منه ليس داخلاً فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث، وقد نقل الإمام أبو عيسى الترمذي رحمه الله معناه عن العلماء مطلقًا، فقال: إنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل. اهـ.

بل إذا عملها دون الاعتياد عليها فليس بمنافق، قال أبو سليمان الخطابي في حديث: «آية المنافق ثلاث ...»: هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال فتفضي به إلى النفاق، لا أن من بدرت منه هذه الخصال أو فعل شيئًا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق. اهـ. (من شرح السنة للبغوي ـ ١/ ١٠٠).

خطر النفاق على الفرد والمجتمع

يمثل النفاق خطرًا حـقيقـيًا على كل فـرد في هذه الأمة وهكذا جميع المجتمعات، وذلك سـيتضح أكثر عندما نذكر صـفاتهم لشـدة خطورتهم وأثرهم على الفـرد والمجتـمع، فضحهم الله في الفاضحة ـ سورة التوبة ـ وهناك سورة في كتابه تسمى سورة المنافـقين بالإضافة إلى الآيات الكثيرة في كثير من سور القـرآن التي تحذر من المنافقين أو تذكر بعض صفاتهم أو فيها وعـيد لهم، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ عندما فتح سورة البقرة ذكر صفات المؤمنين ثم آية عن الكفار ثم آيات أكثر من الآيات في المؤمنين والكـافرين عن المنافقين مما يدل على أهمية الموضوع من ناحية التـعريف بصفاتهم والتحذير منهم ومن التشبه بأعمالهم وموالاتهم. ولو تأملنا ـ جيدًا ـ في الآيات التي ذكـرت النفـاق والمنافـقين لوجـدنا في هذا البحث ما يلي:

١ ـ أن الله نبه نبيه أن المنافقين هم أجدر بالالتفات إلى عداوتهم ومحاربتهم والوقوف أمام عداوتهم للدين من العدو البعيد المعروف المفضوح، ففي سورة المنافقون يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤). ففي هذه الآية يذكر الله أنهم هم العدو الذي ينبغي الحذر منهم والتنبيه لكيدهم وخداعهم ومكرهم وتنصتهم على المسلمين لصالح الكفار.

وفي سورة التوبة والتحريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣، التحريم: ٩). في هذه الآية الأمر للنبي ﷺ بمجاهدة المنافقين والكفار، وخاصة أن النبي ﷺ كان الوحي ينبهه بهم وبكيدهم ومكرهم أما نحن إذا لم نأخذ الحيطة والحذر واليقظة فإنه ليس ثَمَّ وحي فكان على كل مسلم أن يجاهد

المنافقين بكل ما أوتي من قـوة وخـاصـة في عصـر الدولـة ـ دولة المنافـقين ـ، والكره لهم والحكم حكمـهم والكلمـة كلمـتهم أمـام المسلمين فـعلم من الآيتين السـابقـتين خطر المنافقين حـيث كانوا هم العدو، والله أمر بمجـاهدتهم وما ذاك إلا لشرهم وخطرهم على الفرد والمجتمع.

٢- أنهم يفسدون المجتمعـات إفسادًا عظيمًا ويعثون في الأرض فسـادًا ويرتعون في الدين بدون حساب ولا عـقاب من أهل الحق، وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض قالوا: نحن نريد التـطور وإخـراج الأمـة من الجـهل والظلام إلى العلم والنور ومن التـأخـر إلى التقـدم ومن التـخلف إلى التطور، فـما نحن إلا مـصلحون. وكـذبوا، ألا إنهم هم المفـسـدون ولكن لا يشـعرون، هذه هي أسـطواناتهم التي نسمعـها من أفواههم الكاذبة يمرقون من الـدين ويعثون في الأرض فسادًا بـشتى صور وأنواع وألوان الفسـاد العـقائدية والفكرية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية.

ومن ثَمَّ إذا ردعوا لا يرتدعون، فحجتهم التي نسمعها في أيامنا نحن المصلحون وأنتم المفسدون نحن المحقون وأنتم المبطلون نحن الفاهمون وأنتم الأغبياء المتخلفون، فأخرجوا الناس من فطرتهم إلى وحل الفساد والكفر، ورياتهم (إنما نحن مصلحون)، فهل أنت معي ـ أخي المسلم ـ أن المنافقين في هذه الأيام يرفعون هذا الشعار، وبهذا تعرف خطرهم على الفرد والمجتمع؛ ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٢). يقومون بتربية علماء السوء علماء السلاطين وعلماء الماسونية لقذف الشبهات في أوساط المسلمين لتشكيكهم بالدين وبث الفوضى في المعتقد والعبادة، وقد أنشئوا الجامعات والمدارس والمعاهد والصحف والمجلات التي تخدم غرضهم هذا، ويقوم بإمداد يد المساعدة لهم أيدي اليهود والنصارى وما شاكلهم، ومنافقي الأمة، يريدون ليطفئوا نور الله وتشكيك الناس بالحق وهم على ذلك يجادلون ويخاصمون، وصدق عمر حين قال: «**يهدم الإسلام زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون**».

صفات المنافقين

بيَّن الله ـ تبارك وتعالى ـ صفات المنافقين في كتابه وهكذا النبي ﷺ في سنته بما لا يدع مجالاً للشك في أن هذا الموضوع من الخطورة بمكان، وخاصة أن الآيات المذكورة في صفاتهم وتوعدهم بالعذاب شديدة وحاسمة، فما على كل مسلم إلا أن يقرأ الكتاب والسنة بتدبر حتى يفصل صفات المنافقين في جانب ويبدأ مع نفسه في معركة فاصلة وحاسمة لإبعادها أو علاجها، ولغفلة كثير من المسلمين عن صفات المنافقين أحببت أن أذكرها مع بعض التوضيح لكل صفة حتى ينجلي الأمر جيداً وتبرأ الذمة، ونسأل الله أن ينفع بذكرها من يقرؤها، والله المستعان..

فمن صفات المنافقين:

١ ـ خذلان المسلمين ونصر المشركين

لما كانت الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فإن قلوب المنافقين والكفار متآلفة

متعارفة فوجهتهم واحدة وباطنهم واحد، ولكن الذي جعل المنافقين في زمنه ﷺ لا يُظْهرون هذه الألفة هو قوة الإسلام أما في أيامنا هذه فإن قلوب المنافقين والكفار وتيرة واحدة، فهم يتعاونون جميعًا لهدم الإسلام وتقويضه كما فعل أسلافهم، ولكنهم الآن في العلن وأمام الناس كل الناس يضعون أيديهم بعضها فوق بعض، وبهذا ترجع الصورة السابقة التي عايشها المسلمون في زمنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإن اختلفت الصورة أو اشتدت فها هم المنافقون يخذلون رسول الله ﷺ في غزوة أحد ويرجعون بثلث الجيش لتكون أول صورة يخذل المنافقون فيها رسول الله ﷺ، ونتابع بعدها الصور وينزل الله في هذا الأمر قرآنًا، قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

■ قال الشوكاني في قوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾؛ أي هم في هذا اليوم الذي انخذلوا فيه عن المؤمنين إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان عمن كان يظن أنهم مسلمون، لأنهم قد بينوا حالهم وهتكوا أستارهم وكشفوا عن نفاقهم إذ ذاك، وقيل: المعنى أنهم لأهل الكفر يومئذ أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان. اهـ.

ويحذر الله المؤمنين من مثل هذه الأفعال، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران:١٥٦)، ثم تتحول أعذار الخذلان للمسلمين من الصورة الأولى إلى صورة متطورة قليلاً كما ورد في موضوع آخر: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ (التوبة:٨١)، فأجابهم الله: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة ٨١).

وهذه الصور في الزمن الأول ومازالت تتطور حتى وصلت إلى زماننا في أرقى أساليب النفاق في خذلان المسلمين وأشده خطرًا؛ فالخذلان للمسلمين مبررًا بالتعايش السلمي في هذه الأيام أو لا للإرهاب والأصولية ويقصدون بالإرهاب الجهاد في سبيل الله أو لو نصرنا المسلمين المستضعفين لقامت علينا دول الكفر ولحاصرتنا اقتصاديًا وإلى غير ذلك من الصور ذات الطابع الجديد وكله يصب في مصب النفاق. إنه خذلان المسلمين، فكم هم المسلمون في شتى بقاع الأرض الذين يحتاجون إلى نصر وتأييد ولو معنوي؟! ولكن خذلان وأيما خذلان، ولم تقف العجلة عند خذلان المنافقين للمسلمين بل استمرت حتى وصلت إلى نصر الكفار على المسلمين، فها هم القادة الأول يصرحون بذلك كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ (الحشر: ١١).

■ قال ابن جرير في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك

يا محمد فترى إلى الذين نافقـوا وهم فيما ذكر عبد الله بن أبي بن سلول ووديعـة ومـالك أبناء نوفل وسـويد وداعس بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ للحرب أن اثبتوا أو تمنعوا فإنا لـن نسلمكم وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجـتم خرجنا معكم، فـتربصـوا لذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقـذف الله في قلوبهم الرعب، فسـألوا رسول الله ﷺ أن يجليـهم ويكون عـند مـائهم على أن لهم مـا حـملت الإبل من أموالهم إلا الحلقـة، قال وقـوله: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾. ولا نطيع أحدًا سألنا خذلانكم وترك نصرتكم ولكنا نكون معكم.

■ وقـال القرطبي: قـوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، تعجب من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر مع علمهم بأنهم لا يعتقدون دينًا ولا كتابًا. اهـ.

ومنافقـوا زماننا يقفـون صفًا واحدًا مع الكفـار لحرب وضـرب المسلمين، وإمـا أن تـكون الحـجـة الخـوف على

المصالح؟ سحق الأصولية!! إلغاء التشدد والتنطع . . وهلم جرا، المهم أن المنافقين السابقين واللاحقين وهم كثر ـ لا كثرهم الله ـ يخذلون المسلمين في كثير من المواقف وينصرون الكفار، وسواء كان هذا الخذلان أو الانتصار للكفار حسيًا أو معنويًا فهو حاصل موجود بين أظهرنا، فالله المستعان.

٢ ـ تولي الكفار من دون المؤمنين

ويتضح الأمر بجلاء عندما نرى جميع مظاهر الولاء التي تجب للمؤمنين قد صرفها هؤلاء المنافقون لإخوانهم الذين كفروا، ولو أننا تأملنا إلى حكام المسلمين أجمعين لوجدنا أنه لا يخلو واحدًا منهم من الآيات عن صفة من صفات الولاء للكفار إلا من رحم الله، وهكذا كثير من المسلمين والله تعالى يقول: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٨-١٣٩).

■ قال ابن جرير في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ فمن صفة المنافقين يقول الله لنبيه: يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء - يعني أنصارًا وأخلاء - من دون المؤمنين - يعني من غير المؤمنين - أيبتغون عندهم العزة، يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي فإن العزة لله جميعًا، يقول: فإن الذين يتخذونهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة يعز من يشاء ويذل من يشاء، فيعزهم ويمنعهم. اهـ.

■ وقال القرطبي في الآية: وتضمنت المنع من موالاة الكافر وأن يتخذوا أعوانًا على الأعمال المتعلقة بالدين، وفي الصحيح عن عائشة أن رجلاً من المشركين لحق بالنبي يقاتل معه، فقال له: «ارجع، فإنَّا لا نستعين بمشرك». اهـ.

ولكنه النفاق يتضح ويتبين أكثر عندما لا يبالون بمثل هذه الآيات، وترى الحجج والأعذار تخرج من أفواههم تكذبها أفعالهم وقبلها قلوبهم، فتراهم يقولون: لابد أن تكون هذه لأنها جزء من السياسة، وآخر: أتريدون أن نكون بمعزل عن الدنيا، ورابع: ماذا يحدث لو فعلنا هكذا، وزعيمهم وكبيرهم يقول كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١-٥٢).

قال ابن جرير في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ومن يتول اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم فإنه لا يتولى متولٍّ أحد إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض،

وإذا رضيه ورضى دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه، ولذلك حكم من حكم من أهل العلم لنصارى بني تغلب في ذبائحهم ونكاح نسائهم وغير ذلك من أمورهم بأحكام نصارى بني إسرائيل لموالاتهم إياهم ورضاهم جملتهم ونصرتهم لهم عليهم، وإن كانت أنسابهم مخالفة، وأصل دينهم لأصل دينهم مفارقًا، وفي ذلك الدلالة الواضحة على صحة ما نقول من أن كل من كان يدين بدين فله حكم ذلك الدين . . إلخ.

■ وقال الشوكاني في قوله: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي: ما ارتكبوه من الموالاة ووقعوا فيه من الكفر هو بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق. اهـ.

فالحجج عندهم كثيرة ولكن ما تخفي صدورهم أكبر وأفعالهم تكذب هذه الحجج فترى الود والمحبة والإخاء يسود بينهم، بل وصل الحد إلى أن ينادي بعض هؤلاء بالإخاء المطلق بين اليهود والنصارى والمسلمين عن طريق

توحيد الأديان الثلاثة لتكون دينًا واحدًا، فلا إله إلا الله، إلى أين وصلت غُربة الدين؟! هكذا عيانًا بيانًا تحت مسمع المسلمين ولا نكير ومع ولاء كثير من المسلمين حكامًا ومحكومين للكفرة ما وقف الحد عند ذلك بل زاد إلى أن وصل إلى البراء من المسلمين.

فمع محبة كثير من المسلمين للكفار حتى ولو كان في أدنى مراتب الولاء لهم كحب الممثلين مثلاً والممثلات والفنانين والاعتزاز بهم أو غير ذلك فإنهم يبغضون كل مسلم ملتزم بأوامر الله مجتنب لنواهيه بغض وكراهية وعداء وبراء ومفاصلة سواء صرحوا بذلك كما فعل الأكثر من حكام ومحكومي المسلمين أو لم يصرحوا، فسوق الولاء والبراء انقلبت موازينه في هذه الأيام حتى وصل إلى هذه الدرجة، وأظن أنه لا يخلو من ولاء الكفار وبغض الملتزمين المؤمنين أحد إلا القليل القليل وهم أهل الغُربة سواء شعر الناس كما هو حاصل حقيقة أو لم يشعروا، ومازال غطاء الران على قلوبهم، فإذًا تولي المنافقين للكفار

ولليهود ليس جديدًا بل هو من عمل أسلافهم، أَوَلَم تقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٤-١٩).

وكم نسمع في هذه الأيام من هؤلاء المنافقين نموذجًا جديدًا من الولاء لغير الله وهو قولهم الولاء للوطن وللدستور وهلم جرا. والله يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦).

بالإضافة إلى تشييع جنائزهم وحضور أعيادهم وكتابة تاريخهم والتهنئة لهم بأعيادهم والفرح لفرحهم والحزن بحزنهم وغير ذلك. ونسمع في هذه الأيام من كثير من المنافقين حكامًا أو بعض المحكومين رفع أصواتهم بالولاء للوطن والدستور وغير ذلك من الشعارات الباطلة التي جاءت من الغرب، وقد سمعت من أحد الزعماء يأمر الناس ويوجههم بقوله: وليكن ولاؤكم للوطن والدستور فقط ـ أو بهذا المعنى ـ، وأحسنهم حالاً من يقول: الله والوطن والثورة، فجعل الوطن والثورة ندًا لله تعالى وحذف الولاء للمؤمنين ولرسول الله ﷺ كما في الآية وكما هو معلوم من الدين.

٣ ـ التحاكم إلى القوانين الوضعية

ومن أبرز صفات المنافقين التحاكم إلى أقوال البشر كانت أعراف أو أسلاف أو قوانين قَبَلِية أو دساتير وضعية، كل هذه القوانين التي حاكتها أيدي البشر من زبالات أفكارهم يتحاكم إليها المنافقون ويتركون الكتاب والسنة وراءهم

ظهريًا هكذا كانوا في عصره ﷺ، يرغبون عن حكم الله ورسوله إلى أقوال البشر، وها هم اليوم يسيرون على سير آباءهم الأولين من المنافقين فيسارعون إلى أحكام البشر وترك حكم الله وصدق الله، إذ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦٠-٦١).

■ قال الشوكاني في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾: فيه تعجيب لرسول الله ﷺ من حال هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل الله على رسول الله وهو القرآن وما أنزل على من قبله من الأنبياء فجاءوا بما ينقض عليهم هذه الدعوى ويبطلها من أصلها ويوضح أنهم ليسوا على شيء من ذلك أصلاً وهو إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت وقد أمروا فيما أنزل على رسول الله وعلى من قبله أن يكفروا به. اهـ.

■ وقال ابن جرير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (النور: ٤٧-٤٨): يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم، ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله ﷺ.

وتدعو إلى المحاكمة إلى غير خصمها، وما أولئك بالمؤمنين، يقول: وليس قائلوا هذه المقالة - يعني قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ - بالمؤمنين لتركهم الاحتكام إلى رسول الله ﷺ وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه. اهـ.

وما توقف الأمر عند تحاكمهم إلى القوانين الوضعية بأي حجة كانت، بل وصل الأمر إلى الدعوة للناس إلى التحاكم لهذه القوانين، بل وصدُّ الذين يريدون التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا ما يحصل في هذه

الأيام بعينه من حكام ومحكومين كثر في المسلمين، وأصبحت عقيدة المسلم في التحاكم إلى الكتاب والسنة موضة قديمة وشيء قد ولى وانتهى وتغيرت الدنيا وتبدل العصر والتحاكم إلى الكتاب والسنة تخلفًا، ويثير سخرية العالم المتحضر . . وهلم جرا من الكفر الذي قد وقع فيه أصحاب هذه المقالات. ويرينا الله صورة أخرى في كتابه، فيقول: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور: ٤٧- ٥٠).

هكذا حالهم وهو اليوم كذلك تمامًا وأشد من ذلك؛ ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠). وما قرأ هؤلاء سير آباءهم من المنافقين والآيات التي نزلت فيهم أم أنهم على المنوال والطريق، أما قرءوا في

كتاب الله؛ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (النساء: ٦٥). نعم إنهم قد قرءوا ولكنه النفاق والكيد للدين لكنه إيثار الدنيا على الآخرة!

٤ ـ الاستهزاء والسخرية بالله وبرسوله والمؤمنين

تتضح ملامح عداء المنافقين للمؤمنين وللدين بالاستهزاء والسخرية، وقد ذكر الله في كتابه بعض صور استهزاء المنافقين بالمؤمنين، من ذلك قوله: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ (البقرة: ١٤-١٥).

فمن المنافقين من يعايش المؤمنين ويجلس معهم في مجالسهم ويقول: أنا منكم وعلى طريقكم، فلما يذهب إلى زعمائه من شياطين الإنس والإجرام قالوا لهم: إنما قلنا لهم كذلك لخفّت عقولهم ولغبائهم فهم يصدقون أننا معهم

ولكن نحن معكم وكنا بهم نستهزئ ونضحك على عقولهم وهذا حال بعض الناس مَنْ إذا اضطر أن يجلس مع الصالحين أو لم يضطر فجلس معهم وعاشرهم فإذا لقي أصحاب السوء قال: ما كنت عندهم إلا لكي نعرف ماذا يصنعون وكيف يمضون أوقاتهم، أو أريد التجسس عليهم وغير ذلك ولكن نحن معكم يا زعماء الكفر والنفاق، فيقولها اعتقاداً بصحة كلامهم هذا أو خوفًا من شياطينهم أو زعمائهم أو مسئوليهم.

وأما الصورة الثانية يتمثل فيها الاستهزاء بالتنقص والازدراء والاحتقار للمؤمنين كما في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦)، ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء،

أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦).

وكم هم المسلمون الذي يستهزئون بالقرآن وبالرسول ﷺ، وكثير من أحكام الشريعة والأكثر منهم استهزاء وضحكًا بالمؤمنين؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ (المطففين: ٢٩-٣٥)، ما علموا أن هذا

هو شأن المنافقين وأنهم يتكلمون بكلمة واحدة توبق دنياهم وآخرتهم، فكَفَّر الله رجلاً يقول أنه قالها على وجه اللعب.

■ قال شيخ الإسلام: فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر. اهـ.

وهذا يدل على أن الله فصل المسألة حتى لا تكون مرتعًا وبداية للاستهزاء والسخرية بالدين، ومع ذلك ما أثر هذا الوعيد فيهم، فها هم الصحابة ينفقون في سبيل الله فينفق أحدهم بالقليل فيقول هؤلاء: لا حاجة لله بصدقتك، وإذا أنفق غني قالوا: يريد أن يرائي، فما سلم المنفقون بالقليل والكثير منهم، والقصة في البخاري وما يراد من صنيعهم هذا إلا السخرية بالمؤمنين، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٧٩).

٥ ـ الفرح بمصيبة المؤمنين والحزن لانتصارهم

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١٢٠)، وهذا الآية تدل على شدة عداوة المنافقين وحقدهم الدفين على المسلمين، وعلى مر التاريخ هُم هكذا، وفي أيامنا يصرحون بذلك على شكل أوضح وأقوى من سابقهم فمن سمع منهم أن المسلمين يحققون انتصاراً في مواقع الجهاد أو يحرزون تقدمًا في الدعوة إلى الله من بناءٍ للمساجد والمراكز العلمية والدعوية ومن استجابة للناس وللحق . . إلى غير ذلك تمعرت وجوههم وأبدت ألسنتهم قبح سريرتهم.

وأذكر مثالاً على ذلك: في هذه الأيام قامت معارك بين المسلمين والروس في منطقة داغستان، وفي بداية المعارك استولى المسلمون على مناطق كثيرة، فسمعتُ بعض المسلمين يصرح بحزنه وأسفه الشديد ما أصاب روسيا

ويتمنى من الله أن ينتصر الروس بحجة أن هزيمتهم لصالح الأمريكان، وما علم هؤلاء سواء كانوا سياسيين أو زعماء أو عامة أن هذا هو عين النفاق ـ الحزن والأسف على انتصار المسلمين والأسى على الكفار وما أصابهم ـ، وحدِّث ولا حرج عن أمثال ذلك وما هو أشد من ذلك، وإذا عايشت واقع المسلمين وجدتهم ـ إلا من رحم الله ـ يقعون في هذه الصفة القبيحة؛ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: ٥٠)، فكان الجواب لهؤلاء: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

٦ ـ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف

يقول الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)، إن إقامة المعروف والأمر به يغضبهم ويحنقهم لأن معناه إقامة الدين، وهم لا يريدون ذلك أبدًا، فما كان منهم إلا أنهم يأمرون بالمنكر